(مذكرة)

المدخل إلى التربية الإسلامية

العام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٨

المبحث الأول
مفهوم التربية

أولاً: التربية في اللغة:

يتضمن مصطلح التربية دلالات لغوية متعددة، تشير جميعها إلى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة، كما يتضح مما يلي:

١ ـ الإصلاح: رَبَّ الشيء إذا أصلحه[١] والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة؛ وإنما التعديل والتصحيح.

٢ ـ النماء والزيادة: ربا يربو، بمعنى زاد ونما[٢] وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[٣].

ورَبَّ المعروف والصنيعة والنعمة: أي نماها وأتمها وأصلحها[٤].

٣ ـ نَشَأَ وترعرع: رَبِيَ يَرْبَى، على وزن خَفِيَ يَخْفَى: أي نشأ وترعرع، وعليه قول ابن الأعرابي:

فمن يكن سائلاً عني فإني ... بمكة منزلي وبها ربيت[٥]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١/ ٤٠١).

(٢) الفيومي، المصباح المنير (١/ ٢٩٦).

(٣) سورة الحج: آية رقم (٥).

(٤) ابن منظور، لسان العرب.

(٥) المرجع السابق.

٤ ـ ساسه وتولى أمره: ربيت القوم: أي سُسْتُهم: أي كنت فَوْقَهُم، ومنه قول أحدهم: لَأَن يَرُبَّني فلان أحب إليَّ مِنْ أن يَرُبَّني فلان، قال أبو سفيان: غَلَبَتْ والله هوازِن! فقال صفوان: لَأَن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هوازن[١].

٥ ـ التعليم: قال ابن منظور: الرباني من الرب، بمعنى التربية. وقال ابن الأعرابي: الرباني العالم المعلم الذي يَغْذُو الناسَ بصغار العلوم قبل كبارها.

والرباني: الراسخ في العلم، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى[٢].

الخلاصة:

من هذه التعريفات اللغوية يتضح أن التربية تدور حول الإصلاح، والقيام بأمر المتربي، وتعهده ورعايته بما ينميه. وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني.

ثانياً: التربية في القرآن الكريم:

وردت كلمت التربية وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم بمعانٍ متقاربة، منها ما يلي:

١ ـ الحكمة والعلم والتعليم:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٣] قال ابن عباس وغير واحد: أي حكماء، علماء، حلماء[٤]، وقال الضحاك: تُعَلِّمُون أي تُفَهِمُون[٥].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٠٠).
(٢) المرجع السابق (١/ ٤٠٠).
(٣) سورة آل عمران: آية رقم (٧٩).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٥).
(٥) المرجع السابق (١/ ٣٨٥).

٢ ـ الرعاية: قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١] وقال فرعون لموسى، في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[٢] أي: أما أنت الذي ربيناه فينا، وفي بيتنا، وعلى فُرُشِنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين[٣] وهذا يدل على أن من مدلولات التربية: الرعاية والعناية.

ثالثاً: التربية في الإصطلاح:

قال البيضاوي: الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً[٤].

وقال الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام[٥].

ويمكن تعريف التربية: بأنها تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي.

احترازات التعريف:

تنشئة: كلمة تدل على التربية.

الإنسان: بيان أن الإنسان هو المحور الذي تتمركز حوله العملية التربوية، وحُصِرت في الإنسان احترازاً من أي نوع آخر. ولم نقل الإنسان المسلم، لأننا نريد أن نربي المسلم على ما استسلم له، وهو الإسلام، ونربي غير المسلم على الإسلام بالتوجيه والنصح والتنشئة.

شيئاً فشيئاً: بيان أن التربية تقوم على التدرج.

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٢٤).

(٢) سورة الشعراء: آية رقم (١٨).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٤٤).

(٤) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

(٥) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (١٤٨).

في جميع جوانبه: أي جوانب الشخصية الإنسانية، مثل: الجانب العقدي والتعبدي، والأخلاقي، والاجتماعي، والمهني، والعقلي.

ابتغاء سعادة الدارين: وذلك احترازاً من أمرين:

١ ـ احترازاً من التربيات التي تهتم بالحياة الدنيا فقط، مثل التربية الرأسمالية، والشيوعية، وغيرها.

٢ ـ واحترازاً من التربيات القائمة على الرهبنة، وازدراء الدنيا بعدم العمل فيها، وكلاهما مناقضان للمنهج الإسلامي، الذي يهتم بالإنسان في دار معاشه ومعاده.

قال موسى عليه السلام في تمام دعائه: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[١] والمعنى: (اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) من علم ورزق واسع، وعمل صالح. (وفي الآخرة) وهي ما أعده الله تعالى لأوليائه الصالحين من الثواب[٢].

وفق المنهج الإسلامي: احترازاً من التربيات القائمة على غير منهج الله تعالى، كالتربية اليهودية، حيث أنهم أهل علم، عرفوا الحق، واتبعوا غيره، بالتحريف والتضليل، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣] وكذا التربية النصرانية، حيث عبدوا الله تعالى على غير علم.

وأيضاً خروجاً من التربية القومية، والتربيات البدعية التي تزعم أنها على منهج الإسلام وقد حادت عنه، كالتربية الصوفية، والمتحررة، وغير ذلك من التربيات المنحرفة.

والتربية الإسلامية تعيد الإنسان إلى جادة الطريق، وتعرفه بأن الله تعالى هو مربي الناس أجمعين، وتربيته تعالى لخلقه نوعان:

---

(١) سورة الأعراف: آية رقم (١٥٦).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٦٠).

(٣) سورة البقرة: آية رقم (٧٥).

أ ـ تربية عامة: وهي خَلْقُه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

ب ـ تربية خاصة: وهي تربية لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1] والمعنى: (الله يجتبي إليه من يشاء) أي يختار من خلقه من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته، ومنه أن اجتبى هذه الأمة، وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وآخرها[2].

فالنبي ﷺ، اصطفاه ربه وتولى أمر تربيته، حيث صانه الله تعالى عن أفعال الجاهلية المنكرة، فلم يعبد صنماً، ولم تُر عورته، ولم يسمع لهواً قط، فقد كان يحمل مع عمومته وأبناء عمومته الحجارة أثناء بناء الكعبة، فرفع ثوبه على عاتقه ليستعين به على حمل الحجارة، فكشف عن بعض عورته، فسقط وقيل له غط عورتك.

وذهب ليسمع الغناء كبقية فتيان قريش، فوصل إلى المكان، ثم نام حتى طلوع الشمس فلم يسمع شيئاً[3] فهذه تربية ورعاية ربانية خاصة.

وأما التربية العامة فهي بالنعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده، من رزق، وإرسال الرسل، فيهدي بهدايته العامة من ينيب إليه، بعد أن عرف النعمة وأحس بجميع الدلائل الكونية والشرعية على أن الله تعالى هو رب البرية فأناب إليه، ثم هداه تعالى ووفقه، قال تعالى: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصداً وجهه، فَحُسْنُ مقصد

---

(١) سورة الشورى: آية رقم (١٣).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٤١٤).

(٣) انظر السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري (١/ ١١٤ ـ ١١٧) وكذلك كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، ص (١٢٥ ـ ١٢٨).

العبد مع اجتهاده في طلب الهداية من أسباب التيسير لها[1] قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[2].

وقد قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[3].

فأي هداية أعظم من هذه التربية التي تولت جميع الأعضاء الأساسية في الإنسان الذي أناب لربه.

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٤١٤).

(٢) سورة المائدة: آية رقم (١٦).

(٣) البخاري (٤/ ١٩٢) برقم (٦٥٠١).

المبحث الثاني

مصطلحات تربويـــة

إن هناك مصطلحات تربوية، مرادفة لكلمة التربية، وأخرى تؤدي بعض معنى التربية، يجدها القارىء في كتب التربية الحديثة، أو ضمن كتب التراث، ويمكن إيضاح بعض منها فيما يلي:

١ ـ **الإصلاح**: وهو ضد الفساد، وقوبل في القرآن الكريم تارة بالفساد، وتارة بالسيئات[١] قال تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[٣].

والإصلاح يقتضي التعديل، والتحسين، ولكن لا يلزم أن يحصل منه النماء والزيادة، فهو إذاً يؤدي جزءً من مدلول التربية.

٢ ـ **التأديب**: الأدب: أي الذي يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح[٤].

أدبته من باب ضرب، علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، قال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان من الفضائل[٥].

والتأديب يتضمن الإصلاح والنماء.

---

(١) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٣٨٤).

(٢) سورة التوبة: آية رقم (١٠٢).

(٣) سورة الأعراف: آية رقم (٥٦).

(٤) ابن منظور، لسان العرب (١/ ٢٠٦).

(٥) الفيومي، المصباح المنير (١/ ١٠).

٣ ـ **التهذيب**: التهذيب كالتنقية، وهذب الشيء: أي نقاه، ورجل مهذب: أي مطهر الأخلاق[١].

٤ ـ **التطهير**: التنزه والكف عن الإثم؛ وما لا يجمل، ورجل طاهر الثياب أي منزه[٢].

٥ ـ **التزكية**: تأتي التزكية بمعنى التطهير، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير، رحمه الله: يطهرهم من رذائل الأخلاق، ودنس النفس، وأعمال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور[٤] قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[٥] أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على الرسول ﷺ[٦].

٦ ـ **التنشئة**: تأتي التنشئة بمعنى التربية تماماً، يقال نَشَّأ الأبُ ولده على الخير، أي رباه وعوده إياه، ويقال: نَشَأ في بني فلان: أي تربى وترعرع بينهم[٧]. ومنه قول الشاعر:

وينشأ ناشيء الفتيان فينا ... على ما كان عَوَّدَه أبوه

قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٨] أي جعلوا له، أو اتخذ من يتربى، يعني البنات[٩].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١/ ٧٨٢).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٥٠٦).
(٣) سورة البقرة: آية رقم (١٥١).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠١).
(٥) سورة الأعلى: آية رقم (١٤).
(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٥).
(٧) محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص (٥٢٦).
(٨) سورة الزخرف: آية رقم (١٨).
(٩) البيضاوي، أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٤).

المبحث الأول

أهمية علم التربيـة

إن معرفة الأحوال الإنسانية وفهمها تساعد في معرفة التعامل مع الناس والتأثير عليهم، كما تعين على وضع المناهج المناسبة المتوافقة مع مستوى المتربين الزمني والإدراكي، وتساعد في عملية التوجيه والإرشاد، كما أن معرفة الوسائل التربوية المناسبة تساعد المربي على التطبيق العملي والتأثير السريع.

ولكن هل الجانب المعرفي وحده يكفي ليسلك الإنسان طريق الخير والصلاح؟ في الوقت الذي يُلاحظ فيه أن بعض الناس يعرف الخير ويحيد عنه، ويعرف الشر ويقترب منه ويأتيه، فما هي العلة؟

يوضح ابن قيم الجوزية ذلك في سياق النص الذي يقول فيه: وكمال الإنسان إنما يتم بهذين النوعين: همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه، [أي العلم والإرادة] فإن مراتب السعادة والفلاح، إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما[1].

ولذلك فإن العلم وحده لايكفي لسلوك طريق الخير والصلاح، فلا بد من تربية النفس بالمجاهدة، والنصح والتذكير والترغيب والترهيب وبوسائل التربية الأخرى، حتى يسلك الإنسان الطريق النافع، ولهذا فإن الناس أربعة أصناف بحسب حظهم من العلم والإرادة:

١ ـ من رزق علماً وأُعين على ذلك بقوة العزيمة على العمل.

---

(١) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (١/٤٧).

٢ ـ من حُرم هذا وهذا، وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

٣ ـ من فُتح له باب العلم، وأغلق عنه باب العزم والعمل، فهذا في رتبة الجاهل أو شراً منه.

٤ ـ من رزق حظاً من العزيمة والإرادة، ولكن قل نصيبه من العلم والمعرفة، فهذا إذا وفق له الإقتداء بداع من دعاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، كان من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا * ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[2][3].

ولذلك فالعلم وحده لا يكفي، فلا بد من تربية الإنسان لنفسه، ليطبق ماتعلمه بالاتباع والامتناع، باتباع المنهج الإسلامي، والإمتناع عن كل ما هو ضده، وكذلك ليربي من هو مسؤول عن تربيتهم بوسائل التربية الشرعية المختلفة.

وأهمية التربية والكتابة فيها تبرز فيمايلي :

١ ـ أن العلم وحده لا يكفي لتعديل سلوك الإنسان، فلا بد أن يُؤازر ذلك التربية.

٢ ـ مداهمة بعض المصنفات التربوية الغربية للعالم الإسلامي، وما تحمله من أفكار واتجاهات تربوية مخالفة للمنهج الإسلامي، فكان لابد من التصدي لها بضدها.

٣ ـ تأثر بعض الذين كتبوا في التربية بتلك الأفكار الغربية، ونقلت كأنها مسلمات إلى كتبهم، عن طريق الترجمة أو الإقتباس.

---

(١) سورة الأنفال: آية رقم (٢٢).

(٢) سورة النساء : الآيتان رقم (٦٩ـ٧٠).

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (١/ ١١٤).

٤ ـ حاجة الآباء والمعلمين والمؤسسات التربوية والاجتماعية إلى معرفة الأساليب التربوية الإسلامية، لتساعدهم على بناء خير أمة أُخرجت للناس، خاصة في خضم تكاثر المعلومات وازدحامها، وسهولة الإتصال بين مجتمعات العالم، ووفود وظهور مؤثرات منهجية وإعلامية وثقافية، برز تأثيرها الكبير على سلوكيات بعض الناس، فاحتاج الأمر إلى إبراز منهج التربية الإسلامية: الإنمائي، والوقائي، والعلاجي.

٥ ـ أهمية وجود مصنفات علمية تبين واقع المؤسسات التربوية، وحاجاتها، وقضاياها، والأساليب العلاجية لها.

المبحث الثاني
أهمية القيام بالعملية التربوية

إن لممارسة العملية التربوية أهمية كبيرة في حق الفرد وفي حق أبنائه، وفي حق كل من تلزمه تربيتهم، لأنها مسؤولية مناطة بكل من استرعاه الله رعية، كما قال ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته)[1].

كما أن للتربية فوائد عديدة ، تعود على الفرد والأسرة والمجتمع ، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: ـ أهمية التربية للفرد:

إن للتربية أهمية كبيرة في حياة الفرد، فهي استجابة وعبادة لله تعالى، وراحة وطمأنينة للنفس، وثناء وعزة وكرامة للفرد في حياته وبعد مماته.

أ ـ طاعة لله تعالى:

إن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، وإنما خلقه ليؤدي وظيفته التي كُلف بها، وهي إقامة دين الله تعالى، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

---

(١) البخاري (١/ ٢٨٤ـ٢٨٥) رقم (٨٩٣) ، ومسلم (٣/ ١٤٥٩) برقم (٢٠ ـ ١٨٢٩).

(٢) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

ومما يتعبد الإنسان به مجاهدته لنفسه على طاعة الله تبارك وتعالى، فيربيها على الإنقياد لأوامر الله، والزامها ترك ما نهى عنه الشرع، وهذه المجاهدة التربوية النفسية من أعظم أنواع المجاهدة حتى قيل إنها الجهاد الأكبر[1].

وفي تربية الإنسان نفسه ومجاهدتها على عبادة الله تعالى وطاعته، وتعلم العلم الذي يقرب من الله تعالى ويوصل إلى رضاه عبادة وطاعة لله تعالى، ومن هنا تكون التربية مهمة للفرد في ذاته لأن بها تحصل الطاعة لله تعالى.

ب ـ أمن نفسي للفرد:

إن التربية القائمة على المنهج الإسلامي لها عوائد وفوائد عديدة على الإستقرار النفسي، لأن الفرد الذي يتربى على العقيدة الإسلامية يتحقق له من السكون النفسي ما لا يتحقق لغيره، فالله سبحانه وتعالى " خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته، والإنابة إليه، ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم»[2].

وتربية النفس على الإيمان تحقق له اطمئناناً نفسياً، لأنه يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويؤمن بأن المحبوب قد يأتي بالمكروه، والمكروه قد يأتي بالمحبوب، فما عليه إلا الرضا بالقضاء والقدر، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

قال ابن القيم رحمه الله: " في هذه الآية عدة حِكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه،لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله تعالى يعلم

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (١٣/ ٢٤٢).

(٢) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان (١/ ٣٧).

(٣) سورة البقرة : آية رقم (٢٦١).

منها ما لم يعلمه العبد، وأوجب له ذلك أموراً: منها أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الإبتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وإن كرهته نفسه فهو خير له وأنفع، وكذلك لاشيء أضر عليه من ارتكاب النهي وإن مالت إليه نفسه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب" كما أن هذا الأمر يكسبه الرضا بقضاء الله وقدره، وهذا يحقق له درجة عالية من الإطمئنان النفسي.

ومن ناحية اخرى فإن التربية الإسلامية تُبعد المتربين بمنهجها عن الجرائم والرذائل التي تحول بين المرء وبين الشعور بالإطمئنان النفسي.

ج ـ تقدير وحب المجتمع:

من أوجه أهمية التربية الإسلامية للفرد أنها تُكسبه حب وتقدير المجتمع، لأن من تربى عليها قام بما أراده الله تعالى منه، فنال نصيبه في الدنيا من تمكين، وثناء حسن، لأنه أحيا قلبه بالإستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم: "والقلب الحي يكون فيه حياء يمنعه من القبائح، والقلب الميت الذي لاحياة فيه يُسمى وقحاً، فإذا كان كذلك لم يكن في قلبه حياة توجب الحياء"[1] ومن يكن قلبه حيّاً فهو في فضائل الأخلاق يرتع، ومن حسناتها يجني وينعم، وعن السيئات معرض وكاره، ومن يكن كذلك لاشك أنه ينال حب وتقدير المجتمع، لأن الناس تنفر من القبائح، وتستأنس للفضائل. وقد قال بعض السلف: "إن للحسنة لنوراً في القلب، وقوة في البدن، وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب وسواداً في الوجه ووهناً في اليد ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق"[2].

ومن جانب آخر فإن محبة المجتمع تحصل للفرد من خلال محبة الله تعالى للفرد التي هي من ثمار تربية النفس على التقرب إلى الله تعالى بكثرة

---

(١) ابن تيمية، رسائل من السجن، ص (٨١).

(٢) المرجع السابق ، ص (٨٠).

الطاعات، حيث كلما تزود العبد من النوافل ازداد تقرباً إلى الله تعالى، فحظي بخصائص ذكرها ﷺ في الحديث الذي يرويه عن ربه عز وجل، وهو (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا أفعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)[1].

قال الخطابي: والمعنى توفيق الله تعالى لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله تعالى من الإصغاء للهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله تعالى عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي للباطل برجله[2].

ولاشك أن من حظي بهذا التوفيق فقد حظي بمكارم الأخلاق التي توجب له محبة الناس، وحظي بسعادة الدارين، ومنها أن تنزل له المحبة في قلوب الخلق بأمر الله تعالى، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريل فقال: إني أُحب فلاناً فأحبه، قال فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يُحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثم توضع له البغضاء في الأرض)[3] وهكذا يجني العبد من خلال تربيته لنفسه على طاعة الله عز وجل القبول والمحبة عند المجتمع.

---

(١) البخاري (٤/ ١٩٢) برقم (٦٥٠١).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١١/ ٣٤٤).

(٣) البخاري (٢/ ٤٢٤) برقم (٣٢٠٩) ومسلم (٤/ ٢٠٣٠) برقم (١٥٧-٢٦٣٧).

ثانياً: ـ أهمية التربية للأسرة:

إن التربية الصالحة مهمة في الأسرة وللأسرة، لأن في قيام الأبوين بواجبهما مرضاة للرب، وأداء لحق المسؤولية ووقاية من شرور الأبناء، وسعادة للأبوين في الدنيا والآخرة، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

أ ـ طاعة لله تعالى:

إن الله تعالى أمرنا أن نجنب أبناءنا وأهلينا ناراً وقودها الناس والحجارة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أي علمُوهم وأدبوهم[2] فإذا قام الوالدان بتأديب أولادهما على منهج الكتاب والسُنَّة، فإنما يقومان ويُؤديان طاعة لله تعالى.

ب ـ أداء لحق المسؤولية:

إن التربية مسؤولية منوطة بالأسرة أولاً، ومؤسسات المجتمع ثانياً، وكل فرد بحسب موقعه وقدرته ومعرفته، قال ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته)[3].

والمسؤولية شاملة لما يتصل بإصلاح جميع جوانب شخصياتهم، العقدية والتعبدية والخُلُقية، والاجتماعية، وغيرها من الجوانب الأخرى، فالأسرة مكلفة تكليفاً أساسياً وكاملاً بالمسؤولية الملقاة على عاتقها،

---

(١) سورة التحريم: آية رقم (٦).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤١٧).

(٣) سبق تخريجه. ص:

لاتنفك عنها إلا بأداء حقها، وأداء حقها لايكون إلا بتعهد أعضاء الأسرة لبعضهم البعض، بالتوجيه والرعاية، والنصح وتقويم المعوج، وإصلاحه ومتابعته، حتى تتحقق الاستقامة والصلاح، أو بذل ما في الوسع والواجب.

جـ ـ وقاية من عداوة الأبناء:

إن تربية الأبناء على المنهج الإسلامي فيه وقاية من عداوة الأبناء التي قد تحدث نتيجة الإهمال التربوي، أو نتيجة التربية البعيدة عن المنهج الإسلامي، وقد أمرنا الله تعالى بالحذر منهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] وفي هذا تحذير من الله تعالى للمؤمنين، عن الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو، هو الذي يريد لك الشر، فوظيفتك هي الحذر ممن هذه صفته، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد. فنصح تعالى عباده، أنِ توجب لهم هذه المحبة الإنقياد لمطالب الأزواج والأولاد، التي فيها محذور شرعي، ورغبهم في امتثال أوامره وتقديم مرضاته.

ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك من المصالح، ما لا يمكن حصره[2].

ومن أساليب الحذر منهم تربيتهم على المنهج الإسلامي، حتى يكونوا عوناً لهم على طاعة الله تعالى، ولنا في سيرة السلف الصالح دروس وعبر، فقد نَشَّأ عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أبناءه تنشئة صالحة، بالنصح والإرشاد والقدوة الحسنة، حتى بلغه أن أحد أبنائه اشترى فصاً لخاتمه بألف درهم، فكتب إليه عمر: "فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم،

---

(١) سورة التغابن: آية رقم (١٤).

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن، (٥/٢٥٥).

فبعه وأشبع به ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله امرءً عرف قدر نفسه"[1].

فهذه هي التربية الصحيحة التي تتضمن الأمر والنهي وتوضح الأسباب، حتى تكون فعالة ومؤثرة. ولكن ما نتيجة هذه التربية؟

تتضح الإجابة من الموقف التالي بين الأب وأحد أبنائه، فقد جلس عمر بن عبد العزيز يوماً للناس، فلما انتصف النهار وتعب، قال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم، فدخل ليستريح ساعة ، فجاء ابنه فسأل عنه، فقالوا: دخل ، فاستأذن عليه، فأُذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال: أردت أن أستريح ساعة، قال: أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك، وأنت محتجب عنهم؟ فقام عمر من ساعته وخرج إلى الناس[2].

فتلك نتائج التربية الطيبة، التي تُنتج بإذن الله تعالى أبناء أخلاء لا أعـداء.

د ـ مصدر سعادة للوالدين:

إن للتربية الصالحة ثماراً يجنيها الأبوان في الدنيا والآخرة، فمقتضى التربية الإسلامية أن يراعي الأبناء حقوق الوالدين ، ويؤدوها وافية غير منقوصة، وفق ما أمر به الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[3].

قال ابن كثير: أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفف الذي هو

---

(١) ابن الجـوزية، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص (٣١٥).

(٢) المرجع السابق ، ص (٢٩٧).

(٣) سـورة الإسراء: الآيتان رقم (٢٣ ـ ٢٤).